الكاهن يسوع المسيح مقرّب الذبائح الرحيم (عب ٥: ١ – ١٠)

مقدمة

تتمحور معظم تعاليم الرسالة الى العبرانيّين حول عقيدة كهنوت المسيح لذلك نجد فيها خلاصة عقائديّة جديدة حول الكهنوت لا تظهر في سائر كتب العهد الجديد. تعمّق الكاتب في سرّ المسيح فاستند الى تقليد طقسيّ معروض في العهد القديم ثمّ أعطى نظرة جديدة لفكرة الذبيحة والكهنوت تختلف تماماً عن التقليد الكتابي السابق فأجرى بذلك تبدّلاً جذرياً وأساسيّاً في هذا المجال. سنعرض في البداية علاقة المسيح بالكهنوت القديم ثمّ سنلقي نظرة عابرة على الكهنوت في العهد الجديد لنصل الى المعاني اللاهوتيّة التي يتضمّنها المقطع الذي نعالجه (٥: ١– ١٠).

١ . المسيح والكهنوت القديم

تحتلّ المؤسّسات الطقسيّة مركزاً مرموقاً في الكتاب المقدس لذلك طُرحَت أمام المؤمنين مسألة علاقتها مع الإيمان بالمسيح فتساءل هؤلاء المؤمنون: هل تحقّقت العبادة القديمة في سرّ المسيح؟ الجواب عن هذا السؤال يبدو صعباً؛ للوهلة الأولى، لم يجد المسيحيّون الأوائل علاقة بين الإيمان المسيحي والكهنوت اليهودي؛ لم يكن المسيح كاهناً فهو لا ينتمي الى عائلة كهنوتيّة (عب ٧: ١٤؛ ٨: ٤) ونراه دوماً في مواجهة مع عظماء الكهنة فابتعد عن حلقة العبادة الطقسيّة اليهودية (غل ٣: ١٣). نفهم هنا أنّ البشارة المسيحيّة الأوّلانيّة لم تهتمّ بصياغة سرّ المسيح استناداً الى عبارات مرتبطة بالوظيفة الكهنوتيّة اليهوديّة.

مع تقدّم الوقت، بدأ التفكير المسيحي يتأمّل في الكهنوت فظهر الحديث عن فكرة الذبيحة (١ كو ٥: ٧؛ روم ٣: ٢٥؛ اف ٥: ٢)؛ غير أنّ كاتب الرسالة الى العبرانيّين ذهب الى أبعد من ذلك فعرض توجّهين أساسيّين في هذه المسألة: من ناحية، تحرّر من المفهوم التقليدي للكهنوت فميّز بين العبادة الخارجيّة والعبادة الروحية؛ ومن ناحية أخرى، أعاد دراسة المعطيات الأساسيّة للكريستولوجيا عارضاً علاقتها مع الخدمة الكهنوتيّة.

٢ . الكاهن والكهنوت في العهد الجديد

إذا استثنينا الرسالة الى العبرانيّين، نلاحظ أنّ كُتب العهد الجديد لا تُولي أهمّية ملحوظة لكهنوت المسيح وهكذا تغافلت هذه الكتابات عن بُعدٍ جوهريّ لديانة إسرائيل مع العلم أنّ الكهنة وعظماء الكهنة اليهود كانوا يعترضون دوماً على رسالة يسوع وهم الذين دفعوا به الى الموت أمام السلطات الرومانية.

لم يتصرّف الرب يسوع بطريقة توحي أنّه يتماثل بالكهنوت اللاوي فهو لا يرتبط به نهائيًا مثلما كانت الحال مع تلاميذه وقد أشارت الرسالة الى العبرانيّين، على طريقتها، الى هذا التباعد: "فلو كان يسوع في الأرض لما جُعِل كاهناً، لأنّ هناك من يُقرّب القرابين وفقاً للشريعة" (عب ٨: ٤). أثناء حياته التبشيرية، لم ينسب الرب يسوع الى ذاته لقب "كاهن" ولم يُطلِق أحد عليه هذا اللقب؛ يرتبط لقب كاهن، في محيط يسوع، بوظيفة محدّدة مخصّصة لإبناء قبيلة لاوي. لكن، بالرغم من ذلك، فقد استعمل يسوع أحياناً عبارات كهنوتيّة للتعبير عن رسالته من خلال إشارات مُصوّرة وضمنية؛ في هذا الإطار، اعتبر موته ذبيحة شبيهة بالعبد المتألّم (مر ١٠: ٤٥ ؛ رج اش ٥٣) ويتقابل هذا الموت أحياناً مع العهد مع موسى في جبل سيناء (مر ١٤: ٢٤؛ رج خر ٢٤: ٨) مع العلم أنّ الدم الذي يعطيه يسوع الى تلاميذه في العشاء الفصحي (مر ١٤: ٢٤) يُذكّرنا بالحمل الفصحي الذي ذبحه العبرانيّون غداة خروجهم من مصر (خر ١٢: ٧).

حين تذكر الأناجيل كلمة (يروس) كاهن (١١ مرة) تكون الإشارة طبعاً الى الكاهن اليهودي كما أن كلمة (أرخيروس) عظيم الكهنة (٢٥ مرة) والكلمة التي تماثلها (أرخيري) عظماء الكهنة (٥٨ مرة) تنطبقان في الأناجيل على السلطات الكنسية اليهوديّة وهذا يعني غياب العبارات التي تتعلق بكهنوت المسيح عن الأناجيل.

من ناحية أخرى، نجد في الأناجيل إشارة يتيمة الى الكهنوت اللاوي في معرض الحديث عن خدمة زكريا الكاهن في الهيكل (لو ١: ٩)؛ سننتظر رسالة بطرس الأولى التي تتحدث عن الكهنوت المقدّس والملوكي للمسيحيّين (١ بط ٢: ٥، ٩ ؛ رؤ ١: ٦؛ ٥: ١٠؛ ٢٠: ٦؛ رج خر ٩: ٦) وإذا شكّلوا في المسيح هيكل الله (١ كو ٣: ١٦ ي؛ اف ٢: ٢١ ي) فهذا الأمر لا

يتحقّق إلاّ بواسطة كهنوت المسيح. هذا يعني أنّ كاتب الرسالة الى العبرانيّين هو الوحيد الذي اهتمّ بتقديم عرض عقائديّ حول كهنوت المسيح (عب ٧: ٥، ١١، ١٢، ١٤، ٢٤).

((حاشية: إنّ إغفال ذكر الكهنة والكهنوت في العهد الجديد لا يعني بالضرورة غياب هذه الوظيفة تماماً عن تلك الكتب؛ اننا نجد بين الحين والآخر إشارات بعيدة الى ارتباط الرسل بعبادة الهيكل: بعد صعود الرب الى السماء لازم الرسل الهيكل (لو ٢٤: ٥٣؛ اع ٣: ١؛ ٥: ١٢، ٤٢) وهذا دليل على ارتباطهم بطقوسه غير أننا لن نجد الرسل في الهيكل بعد أن طُرد بولس منه (اع ٢١: ٣٠).)))

تُشدّد كتب العهد الجديد على الإنقطاع بين الوظيفة الكهنوتيّة اليهودية وبين المسيحيّين؛ ولكن، بالرغم من هذا التباعد، فإنّ القديس لوقا يبرهن أنّ السلالة اليهودية الكهنوتيّة المتحدّرة من هارون والمتمثّلة في شخص زكريا الكاهن وزوجته اليصابات (لو ١) هي التي استقبلت المسيح.

باختصار لم يرتبط المسيح نهائياً بالكهنوت اللاوي ولا بوظائفه وإذا أطلق عليه كاتب الرسالة الى العبرانيّين لقب "كاهن" او "حبر" فذلك بسبب آلامه حيث قدّم على الصليب ذبيحة فريدة ووحيدة.

٣ . المعاني اللاهوتية الواردة في ٥: ١– ١٠

نجد في هذا المقطع قسمين كبيرين: يعرض الكاتب في البداية صفات عظيم الكهنة (آ ١– ٤) ثمّ يبرهن أنّ المسيح هو كاهن على رتبة ملكيصادق (آ ٥– ١٠).

٣ . أ . صفات عظيم الكهنة (٥ : ١ – ٤)

يذكر الكاتب الصفات والواجبات المطلوبة بشكل عام من عظيم الكهنة، تلك التي سيحقّقها المسيح في حياته.

٣. أ . ١ . "إنّ كلّ عظيم كهنة يُؤخذ من بين الناس ويُقام من أجل الناس في صلتهم بالله، ليُقرّب قرابين وذبائح كفّارة للخطايا" (آ ١)؛ يُشكّل انتماء عظيم الكهنة الى الجنس البشريّ الصفة

الأولى التي يتمتّع بها عظيم الكهنة اللاوي فهو مأخوذ من بين الناس: ان الكاهن هو ممثل البشرية امام الله فمن الطبيعي ان يكون انساناً مثل باقي الناس وعليه ان يفهم حاجاتهم.

٣ . أ . ٢ . الصفة الثانية التي يتميّز بها عظيم الكهنة تقضي بتقديم الذبائح. إنّ مُقرّب الذبائح اللاوي هو الوسيط بين الله والناس يحافظ او يؤسّس من جديد علاقات الشركة على أساس مغفرة الخطايا. ذاك الكاهن يقرّب الذبائح تكفيراً عن الخطايا، وهذا يُذكّرنا بذبائح اللاويين التي تُقدّم تكفيراً عن خطايا الكهنة والشعب (لا ٤: ١ – ٥: ١٣). نلاحظ ان الكاتب يستعمل كلمة يُؤخَذ في صيغة المجهول ومثلها كلمة يُقام؛ ان الكهنوت هو نداء من الله الذي يختار الإنسان فلا يستطيع انسان ان يُقيم نفسه كاهناً وهذا يعني ان الله يُعيّن بذاته الكاهن الذي يُمثّله بين الناس.

٣ . أ . ٣ . بعد ذلك يعرض الكاتب الصفة الثالثة لعظيم الكهنة اللاوي فهو يرفق بالجهال الضالين لأنه يلبس الضعف مثل الناس (آ ٢) ؛ لا يستطيع الملائكة أن يُشفقوا على الجهّال والخاطئين لأنهم ليسوا بشراً. إن القدرة على الرفق بالجهال والضالين هي ميزة تخصّ الخدمة الكهنوتيّة. إنّ مساعدة الضالين للتقرّب من الله تتطلّب التكرّس والتفاني والإخلاص. كان من المفروض أن يخدم هذا الإنسان الله لأجل الناس وهنا يتوضّح دور الوساطة. يُقدّم هذا الكاهن الذبائح على مختلف أنواعها (٨: ٣، ٤؛ ٩: ٩؛ ١١: ٤)؛ بسبب طبيعته البشريّة (آ ٣)، يتوجّب عليه أن يُقدّم الذبائح عن خطاياه وخطايا الشعب (يوم كيبور لا ١٦). ان الكاهن هو خاطئ لذلك كان يُقدّم عجلاً لا عيب فيه تكفيراً عن خطاياه قبل ان يقدّم الذبيحة تكفيراً عن الشعب (٧: ٢٧).

٣ . أ . ٤ . الصفة الرابعة لعظيم الكهنة تتعلّق بدعوته الإلهيّة فكما دعا الله هارون، هكذا يجب ان يكون عظيم الكهنة مدعوّاً من الله (آ ٤)؛ لم ينسب هارون الى شخصه صفة مُقرّب الذبائح، بل اختاره الله وهذه هي إحدى المقتضيات الخاصة بكهنوت مُقرّب الذبائح. يعتبر الشعب هذه الدعوة ضمانة أنّ الله يقبل دعاءه لأجل الخطأة (خر ٢٨: ١). مات إبنا هارون لأنهما قرّبا أمام الله ناراً غريبة دون أن يُطلَب منهما القيام بذلك (لا ١٠: ١)؛ كذلك الأمر حاول كوري ؟؟ أن ينتحل صفة تقريب الذبائح دون أن يكون مدعوّاً فكانت ردّة فعل الله فوريّة وعنيفة (عد ١٦).

٣ . ب . المسيح عظيم الكهنة على رتبة ملكيصادق (٥ : ٥ – ١٠)

بعد ان عرض الكاتب في الآيات ١ – ٤ الميزات اللازمة لوظيفة الكهنوت اللاوي، يضع الآن المسيح في هذا الإطار المُحدّد، لا ليُبرهن فقط أنّ المسيح يتساوى مع هذا الكهنوت، بل بالأحرى يتفوّق عليه.

٣ . ب . ١ . المسيح يتلقّى مهمة تقريب الذبائح من الله (آ ٥– ٦)

يبدأ الكاتب تحليله بقلب ترتيب الصفات المطلوبة من مُقدّم الذبائح. إنطلق الكاتب من الصفة الرابعة لعظيم الكهنة وهي تتعلّق بالدعوة وطبّقها على المسيح الذي تلقّى المجد من الله الذي قال له: انت ابني انا اليوم ولدتك (آ ٥؛ رج مز ٢: ٧)؛ كرّر الكاتب الإستشهاد بالمزمور ٢: ٧ الذي كان قد أشار اليه سابقاً في الفصل الأول (١: ٥) حيث يجري الحديث عن تفوّق المسيح على الملائكة. بعد ذلك تطرّق الى المزمور ١١٠ الذي يرد بدوره في الفصل الأول (١: ١٣) والذي يتضمّن إعلاناً لن يتوضّح معناه إلاّ في الفصل ٧: "أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق" (٧: ١– ٣؛ رج مز ١١٠: ٤). لن يعالج الكاتب حالياً مسألة ملكيصادق بل فضّل الإشارة اليها بشكل عابر لِيُشدّد على الإعلان الإلهي الذي أقام المسيح في خدمته كمُقرِّب ذبائح.

يؤكّد الكاتب أنّ المسيح هو كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق (آ ٦؛ رج مز ١١٠: ٤)؛ يُحدّد المزمور ١١٠ واقع كهنوت المسيح: انه كهنوت ملوكي وابدي، فالمزمور يُوضح ان المسيح هو ملك الكون وكاهن الى الأبد. انحصر الكهنوت اللاوي، الذي أسّسه موسى، في سلالة هارون، أمّا المسيح فقد وُلدَ من سلالة داود (٧: ١٤) وجُعِلَ كاهناً بقرار خاص من الله كما انّ كهنوته هو ابدي (٩: ١٢). هكذا يمتلك المسيح الامتيازات الملكية والكهنوتية على مثال ملكيصادق (٧: ١ – ٣).

٣ . ب . ٢ . آلام المسيح الإنسان (آ ٧– ٩)

يتطرّق الكاتب في الآيات ٧ – ٩ الى الحديث عن ايام بشرية عظيم الكهنة الذي يرفق بالجهال والضالين مع العلم أنّ البشريّة هي صفة يتميّز بها عظيم الكهنة اللاوي (آ ١). ان المسيح هو ابن الله ولكنه يملك الطبيعة البشرية وقد عرف ضعفها والألم الذي يرتبط بها حين قدّم ذاته على الصليب؛ هناك على الجلجلة مارس وظيفته كوسيط وفي ذلك الوقت وصل كهنوته الى الذروة (٢: ١٠).

٣ . ب . ٢ . أ . تُشير عبارة "في أيام حياته البشريّة" (آ ٧) الى إنسانيّة المسيح الذي يُختار من بين الناس وهذه الصفة الأولى التي طبّقها الكاتب على عظيم الكهنة اللاوي. إنّ الذي يهتمّ بشؤون الناس يفهم الطبيعة البشريّة بواسطة خبرته وقد حقّق المسيح هذا الأمر بطريقة مثاليّة. ((حاشية شكّلت بشريّة المسيح الموضوع الأبرز في الفصل ٢.)) يقول بولس في هذا الشأن: "الوسيط بين الله والناس هو واحد: الإنسان يسوع المسبح" (١ تم ٢: ٥).

ولكن إذا كان يسوع فعلاً إنساناً فإننا لا نستطيع القول إنه أُخذ من الناس كما هي الحال مع هارون، لأنّه كان ابن الله الوحيد وقد تجسّد وصار إنساناً. يجب أن نُفكّر بطبيعة يسوع الإلهيّة وطبيعته البشريّة وهذه الأخيرة تُشير الى اختباره الضعف البشريّ خاصة أنه اشترك في اللحم والدم (٢: ١٤).

٣ . ب . ٢ . ب . يجري الحديث، في الآيتين ٧ – ٨ عن الوسيلة التي تمّت بها مهمة المسيح الخلاصية وهذه الوسيلة هي الألم؛ يتّضح ان آ ٧ هي وصف لآلام المسيح. هنا نتذكّر اخبار الآلام التي تشدّد على واقع المسيح العبد المتألم في حين انه ظهر في حياته العلنية التبشيرية صانع المعجزات الذي ابهر عقول عارفيه. نجد هنا قدرته على التضامن مع الضعفاء وذلك من خلال صلواته وتضرّعاته التي رفعها مع الصراخ والدموع ونحن لا نجد إشارة الى الدموع في أخبار الآلام التي توردها الأناجيل.

يُشدّد الكاتب على أنّ المسيح تألّم بصفته مُقرّب ذبائح عظيم كما انّ خدمته أمام الله تهدف الى حصول الناس على المنفعة. رفع صلواته وتضرّعاته وصراخه ودموعه؛ قدّم آلامه وخضوعه وجسده (١٠: ١٠) وموته. في كلّ هذه الأمور، يُبرهن الكاتب أنّ المسيح له كامل الصفات التي تجعل منه مثال مُقرّبي الذبائح.

٣ . ب . ٢ . ج . "رفع يسوع الدعاء بصراخ شديد ودموع ذوارف الى الذي بوسعه ان يخلّصه من الموت فاستُجيب لتقواه" (آ ٧). أشار لوقا الى طلب من هذا النوع أثناء نزاع يسوع في بستان جتسيماني (لو ٢٢: ٤٤) ونحن نعلم أنّ الله لم يستجب لهذا الدعاء. تدلّ كلمة تقوى (اوسابيا) على مخافة الله وإجلاله؛ رفض المسيح كلّ الأشكال التي يمكن أن تُحرّره من آلامه سواء أجاءت من السماء أم من الأرض (مت ٢٦: ٥٣؛ يو ١٨: ١١؛ لو ٢٢: ٥١) لذلك ختم

صلاته بالقول: "لتكن مشيئتك" (لو ٢٢: ٤٢). لم يستجب الله فوراً لهذه التقوى التي تجلّت في موقف الإبن وبالتالي لم يُخلّصه من آلامه مع العلم أنها كانت رغبة رؤساء الكهنة (مت ٢٧: ٤٠) ولكنّ الله استجاب لدعاء الإبن، فيما بعد، أي بواسطة قيامته من بين الأموات وتمجيده في السماء. ((تقوى رسائل رعائية))

٣ . ب . ٢ . د . هنا نتساءل: هل يحتاج الرب يسوع الى تعلّم الطاعة (آ ٨)؟ إنّ المسيح، إبن الله، ليس بحاجة ليتعلّم الطاعة ولا غيرها من الفضائل البشريّة لأنه عرف الكمال منذ ولادته؛ تجسّد ابن الله وصار إنساناً لذلك أضحى مُلزَماً أن يمرّ بالخبرات البشريّة مثل الطاعة والألم؛ يجب أن يختبر المسيح هذه الفضائل البشريّة ليس بهدف التمرّس عليها بل بالأحرى ليصبح سبب خلاص أبديّ. لقد أعلن بولس في هذا الشأن: "إنّ المسيح أطاع حتى الموت، موت الصليب" (فل ٢: ٨).

٣ . ب . ٢ . هـ . بعد ذلك يصل الكاتب في آ ٩ الى النتيجة التي حقّقها المسيح بآلامه وهذه النتيجة تكمن في انّ المسيح بلغ الكمال. إنّ الخلاص الذي يُقدّمه يسوع هو أبديّ وهذا يتناقض مع الخلاص المؤقّت وغير الكامل للعهد القديم. ينذهل القارئ اليهوديّ من كلمة "أبدي" لأنّه اعتاد على تجديد الذبائح في كلّ عام ليتذكّر خطاياه (يوم كيبور) غير أنّ هذا الخلاص يكون أبديّاً للطائعين فقط، فالله لا يمنح خلاصه لمن ليست له مقتضياته؛

يكمن الكمال في تمجيد يسوع الإنسان فقد عَبَرت بشريّة يسوع في الألم لتصل الى الكمال عبر مجد القيامة. ليس المقصود هنا فضيلة الكمال الأخلاقي لأنّ يسوع، إبن الله، ليس بحاجة اليها بل بالأحرى يعتبر الكاتب أن يسوع الذي قام بوظيفته الكهنوتيّة وقرّب ذاته على الصليب بلغ الى الكمال حين حقّق، من خلال ذبيحته، الخلاص الأبديّ الممنوح للمؤمنين.

أُعطيَت ليسوع مهمة منح الخلاص للهالكين كما يعلن لوقا: "لأنّ ابن الله جاء ليبحث عن الهالك ليُخلّصه" (لو ١٩: ١٠). استطاع يسوع أن يُحقّق هذه الوظيفة ساعة آلامه وقيامته حيث ظهر أنّه مُقرّب الذبائح الأعظم .

قال المسيح على الصليب: لقد تمّ (يو ١٩: ٣٠)؛ لقد أتمّ يسوع، في آخر ايام بشريته، وظيفته الكهنوتية بفضل الطاعة وذلك حين قبِل قبولاً تاماً الشروط التي وضعها الله لوساطته وحين اختبر الآلام حتى النهاية.

٣ . ب . ٢ . و . يسوع وملكيصادق (آ ١٠)

يستعين كاتب الرسالة الى العبرانيّين باستمرار بشخصيّة ملكيصادق فقد ورد اسمه مرتين في المقطع الذي نعالجه (آ ٦، ١٠) بالإستناد الى المزمور ١١٠ وسيعود الكاتب لاحقاً (الفصل ٧) ليعرض بإسهاب المعاني الرمزية التي تحملها صورة هذا الملك من خلال العودة الى أحداث التكوين، حين رجع إبراهيم بعد انتصاره على الملوك المتكتّلين ضدّه (تك ١٤: ١٨– ٢٠). يُشدّد الكاتب على عظمة ملكيصادق مبرهناً أنّه مثال للمسيح.

خاتمة

يشدّد كاتب عبرانيين على ان المسيح الكاهن هو مأخوذ من الناس وهو يعيش مثلهم ويختبر ضعفهم وآلامهم ؛ ارتبط كهنوت المسيح ارتباطاً عضوياً بشخصه فالكهنوت ليس امتيازاً أُضيفَ الى شخصه . لا يُمكن لأيّ وسيط ان يُرضيَ الله كما يرضيه ابنه . نال المسيح كهنوته من الآب ومارس وظيفته الكهنوتية من خلال رسالته بين البشر واستطاع المسيح الكاهن ان يبلغ الكمال على الجلجلة .

قارن كاتب الرسالة الى العبرانيّين بين ذبائح عظماء الكهنة في العهد القديم وبين ذبيحة المسيح؛ هذه المقارنة تتضمّن بعض التشابه لأنّ خدمة المسيح هي تتميم للعهد القديم غير أنّ الكاتب لا يريد الوصول الى التشابه بينهما إنما الى الإختلاف الجذري: يتفوّق المسيح الى حدّ بعيد على الملائكة (١: ٤) وعلى موسى (٣: ٣) وعلى يشوع (٤: ٨).

ظهر الآن نظام جديد لتقديم الذبائح فالكمال لا يكمن في كهنوت اللاويّين (٧: ١١) بل في كهنوت المسيح الذي جاء من سبط يهوذا؛ ان الرب يسوع ليس كاهناً على طريقة كهنوت العهد القديم فهو لا ينتمي الى هذا الكهنوت وليس خاضعاً له لأنه كاهن على رتبة ملكيصادق . لم يعد الهيكل مكاناً لتقديم الذبائح بل انتقل هذا المكان الى "خيمة أكبر وافضل لم تصنعها الأيدي، اي انها ليست من هذه الخليقة" (٩: ١١). ان ذبيحة المسيح على الصليب عرّفت الناس معنى كهنوته الدائم والأبدي الذي ليس له بداية ولن تكون له نهاية .